

وثيقة مهمة عن علماء الجزائر في العهد العثماني⁽¹⁾

الشيخ محمد بن حسين بن رجب شاوش
أحد أئمة مساجد العاصمة، في العهد العثماني

حتى سادوا على جملة من أربابها
فسبحان الفعال لما يريد....

2 . دوران القضاء على
المذهبين المالكي والحنفي

وأمر الشرع إلى القاضيين:
قاضي المالكية الذي كان مستقلاً
في أيام العرب، ثم صار نائباً في
أيام الترك إلى زمان سيدي علي
الشاطبي، كما ستقف عليه، وإلى
قاضي الحنفية الذي أحدث في دولة
الترك.

وكثيراً ما تتوقف مرُّ الأحكام
إلى يوم الخميس، يجتمعون⁽²⁾
العلماء القاضيان مع المفتاتي:
مفتي الحنفية ومفتي المالكية،
وكان في القديم يحضرون معهم
بعض الأفاضل كسيدي رمضان،
وبعده ابنه سيدي المهدي، وبعده

1 . جزائر بني مزغنة وبعض
جوامعها

جامع علي بتشين: جامع علي
بجنين.

جامع كتشاوة: جامع كجاوة.
الجزائر: كانت تسمى جزائر بني
مزغنة.

مزغنة: كانت مدينة بسورها
سنة 400 أربعمئة موجودة،
وخليت مرة بالنمل ومرة بالفناء،
كذا قيل.

وقال البرشكي في رحلته:
خليت بالزلزلة الكاينة سنة 766هـ،
تزلزلت ليلة السبت عاشر شهر ربيع
الثاني أو حادي عشر حتى سامها
البرابر بالسكنى والاستيلاء على
جملة رباعها، واستطالت أيديهم

الله، الله، الله، وفاته بعد دخول الترك
للجزائر، وضريحه داخل المدينة سند
الجبل بسنة 948هـ.

وبعده الولي الصالح سيدي محمد
بن علي بن بهلول بمجاجة من عمالتنا
سنة 1008هـ، كذا من خط سيدي
محمد الشريف بن سيدي محمد
المهدي بن سيدي رمضان.

ومن تلك السنة توفي الولي
الصالح سيدي عبد الرحمن بن
سالم ابن مخلوف سنة 1009هـ.
وبعد الكل توفي الولي سيدي
علي بن مبارك شيخ القليعة، الذي
تقدم ذكره عند ذكر موت أهج
مصطفى سنة 1040هـ.

وتوفي الولي الصالح سيدي
يوسف الكواش سنة 1050هـ.

وتوفي الولي الصالح سيدي
منصور يوم الإثنين، وقبره مشهور
بين البيان باب عزون سنة 1054هـ.

وتوفي الولي الصالح سيدي
محيي الدين بن سيدي علي بن
مبارك سنة 1058هـ.

ابنه سيدي محمد الشريف، وامتنع
هذا الأخير من الحضور ليوم
كان يجتمع مع العلماء بين يدي
ميزمورط....

3. دخول الأتراك إلى الجزائر
ووفيات بعض العلماء والصالحين

... وكان دخول الترك الجزائر
بعد وفاة الولي الصالح سيدي
أحمد بن عبد الله الجزيري
صاحب الجزيرية، وكان ورده:
يا الله، يا لطيف، يا حفيظ، وفاته
سنة 884هـ.

ووفاة العالم والولي الصالح
سيدي عبد الرحمن بن محمد بن
مخلوف الثعالبي سنة 875هـ، وكان
ورده: يا الله، يا حي، يا قيوم، يا
سلام سلم، وقد تولى العدالة ثم
تولى القضاء وخلع نفسه، وعاش
بعد ذلك منفصلاً مشغلاً بالعبادة.

وناسب أن نذكر وفاة الصالحين
والعلماء العاملين ومنهم الولي الصائم
سيدي محمد الشريف، وكان ورده:

4 - مراسيم الفتوى والقضاء في عهد ولاية الدولاتية للمفتين والقضاة

وحين أسند الحكم إلى
الولاية الدولاتية كثروا حضور
العلماء بين أيديهم من المفتين
والقاضيين.

أما عن إفتائهم عن أحوال
تعرض بين يديه، كالسرقة إذا اتهم
بها أحد وحدّوه بأنواعه، وهم على
هذا قد كانوا وعليه أدركناهم، أو ترفع
إليه دعوة الخصام ويطلبون المجلس
بين يد الأمير فيساعدهم لذلك.

وانسحب الأمر إلى ولاية أهج
مصطفى فترك استفتاء في الحرق
والسرقة.

وفي زمان دولة حسين خوجة
الشريف كان يجمعهم كل خميس
وإثنين قبالة مجلسه يبسط لهم
الفروش الحسنة بوسايد خلفهم
للاتكاء عليها عند العيا، ويطول
المجلس هناك.

وبعده في ولاية محمد خوجة
بكتاش نقل اليومين للجامع الأعظم،
ثم اندرس يوم الإثنين وها هو بقي يوم
الخميس خاصة، وكثير من الدعاوي
اليوم يفصلها القضاة وتبرم ولا تقتش
في محكماتها من جانب المفتي.

وقد أدركنا أيام الوالد⁽³⁾ رحمه
الله كل يوم أربعاء يأتيه قاضي الحنفية
ويعرض عليه بعض المسائل، وذلك
إنما هو حيلة منه لاستخباره لما هو
له منتظر من أحكام يقصد، وما كان
المجلس إلا يوم الخميس للامة
بجامع الأعظم.

وكثيرا ما يتحول مجلس العامة
بين يد الأمير في سائر الأسبوع تارة
يومين وتارة يوم، بعد يوم، منادي
الأمن ينادى بجمعهم بدار الإمارة ثم
مفتي الحنفية وقاضي الحنفية يناديهما
شاوش العسكر، ومفتي المالكية
وقاضي المالكية يناديهما شاوش
أولاد عرب، وإن كان النداء خاصا
كالمفتي وحده أو القاضي وحده،
فالمنادي شاوش أولاد عرب.

5 . دخول الفقه الحنفي إلى الجزائر

وكانت هذه الجزائر في أيام العرب، علماؤها مالكية ولما دخل الترك بدأ ظهور المبطلار من العجم مما حين للبasha وإيقائهم وبدأ وجود بعض الوعاظ ينزلون أياما.

وبدأ ظهور علم الحنفية على لسان ذلك المذكورين، وبدأ ظهور العلم والمعرفة من أبنائها أولاد الترك بالقراءة والتدرج بالفهم والوصول إلى الإمامة والخطابة وخطبة . لعلها خطة . الفتوى .

6 . ذكر بعض العلماء والمفتين في العهد التركي

من الذي أذكرنا خبرهم ورأينا خطوطهم من القلغاز بعد الترك:

محمد بن قزمان

أولاً: العالم العلامة مفتي الإسلام سيدي محمد بن قزمان، توفي سنة 1026هـ، تولى بعد أخيه

محمد بن حسين قزمان الثاني، عاصر في خطته الفتوى ابن عمار بن دواد سنة 1017هـ، تولاها مرارا، وكان يتداول خطة الفتوى مع العالم العلامة مفتي الإسلام سيدي محمد بن سيدي رمضان بن يوسف العليج، تارة هذا وتارة هذا.

توفي ابن قزمان الأخير يوم السبت عند الظهر 4 من الحجة سنة 1066هـ وهو مفتي.

سيدي محمد بن سيدي رمضان بن يوسف العليج

وعاش بعده ابن سيدي رمضان المذكور⁽⁴⁾ منفصلا عنها بأعوام، لأنه تعرض له أبوه سيدي رمضان وهجره لأجل الولاية، فبرّ بوالده وخلع نفسه وسلّمها لابن قزمان قبل موته رحمهما الله.

ثم تولى بعد ابن قزمان قبل موته رحمهما الله.

حسين أبو نصر

ثم تولى بعد ابن قزمان الأخير حسين أبو نصر وكان خطيبا بجامع

قرباش أفاندي

وأول من خطب بجامع الجديد باب البحر بعد تمام بنائه قرباش أفاندي، كان عالما جاء من بر الترك، فجمع عليه الجموع وهو أمر يكرهه الولاة، فنفي ونزل إلى جامع الجديد مسلم أفاندي من جامع سفير باشا.

فلما توفي حسين أفاندي وتولى مسلم مكانه في الفتوى وترك بجامع الجديد، ومن ثم بقيت هذه السنة كل من يتولى خطة الفتوى يكون هناك خطيباً.

سيدي حسين البابوجي

وجامع السيدة تولى فيه سيدي حسين البابوجي، كان خليفة قرباش بجامع الجديد. وأيام مرض حسين أفاندي، ينوب هذا سيدي حسين عن المفتي في الخطبة فسمعه الدولاتلي بابا حسن فاستحسنه، وكان رحمه الله فيه ما يسمع. هذا هو السبب في

السيدة، وسجن في برج الجزير على أنه معزول من الصبح إلى العصر، وتوسط في شفاعته سيدي محمد بن سعيد الآتي ذكره، وهو السبب في العزلة والسجن ترغيم الأنف فقط مع وسائل، ولم يظهر وفهمت عليه الحراق من فحو ماله، فصعد وقرر في فتواه، ثم ماتت زوجته وأعطاه سيدي محمد بن سيدي سعيد بنته عزيزة، وهو مصدق مكره رضي الله عنه.

مسلم أفاندي

ولما مات رحمه الله تولى بعده مسلم أفاندي ابن علي، قدم إلى الجزائر قاضي الطريق، وردف معه ابنه سيدي محمد، ولما تم منصبه استوطن بالجزائر وتزوجا ودخلا في طريقة الخوجلار سنجاك طار، هو وابنه وخدم الكمرك، وابنه خدم سبيل الخيرات، وتولى خطيباً أولاً بجامع سفير باشا سند الجبل.

ارتقائه من الخلافة إلى الخطابة مستقلاً.

ومدة حسين أفاندي في خطّة الفتوى نحو أربع وعشرين سنة. سيدي محمد خوجة بن مسلم أفاندي

ثم بعد وفاة مسلم أفاندي قدم ابنه سيدي محمد خوجة مكان أبيه مفتياً وخطيباً، وكان ظريفاً أديباً، صان الخطبة، وبدأ في تفخيمها بمكتبه في داره لا مثل أبيه كان مجلسه القهوّ والذي من قبله أيضاً، إلى تولية الحاج شعبان خوجة دولاتلي عزله، وكانت بين مدته ومدة أبيه مسلم لم تجمع ثمانية سنة⁽⁵⁾.

وقد اطلّعت على خط مسلم أفاندي بن علي في مفاصلة وكتب وهو نفقه إلى أن مسلم ابن علي خلافة بمدينة الجزائر.

حسين بن رجب جاش

هذا بعد عزله من قضاة الطريق وولى والدي حسين بن رجب

جاش، فزاد تفخيماً وتصرفاً وكان محبوباً عند الولاة، وله يد طولي وكلمة نافذة، وأبدل نفسه في قضاء حوائج من يتعلق به ولا يلتفت إلى فائدة نفسه، وكان يقول لي: ((كن رأس سردين، ولا تكن ذئب)). ويقول لي: ((صغر كرشك يعظم رأسك))، وهو القلغلار في الخطبة في أيام الدولاتلي المذكور، وهو الذي زانها وصانها وزينته بالتدريب والاطلاع. وكان في أيامه الأسئلة رادفة من البلد من الأماكن البعيدة، وقد يوجد بعض الأيام في فصل الخريف إلى الثلاثين سؤالاً، لأن ذلك زمان الخصام على الأراضي للحرثة، وخصوصاً يوم الأربعاء لتلقي الأسئلة في المجلس، وكانوا⁽⁶⁾ القضاة ينقمعون بالأسئلة المجاوبة، إذا رأوها في المجلس ربما بطل حكمهم الماضي.

تولى والدي⁽⁷⁾ مفتي، وهو من ثلاثين سنة، ومكث فيها اثني عشر سنة⁽⁸⁾، وعزله أهج مصطفى الدولاتلي.

الحاج محمد النيار

وولى مكانه الحاج محمد النيار جاهل مرتشي قليل الدين، وهو أول من أهان العلم والعلماء عند ملاقة أهج مصطفى الجبار، كان يتجبر يلبس الذهب، وقد رأيته يوم الجمعة أتى لجامع على بجنين وصلى صلاة الجمعة فشهد مملوكه بحذايه يعينه في الانحطاط في الركوع والسجود والقيام وقت النافلة، وسها على الانتباه في فرض الصلاة.

سيرة الأمراء في احترام العلماء وكانوا^(٩) الذي قبل زمن الأمراء يقفون ويلقون السادات الفقهاء عند الورود عليهم، وهم يقبلون العلماء والصلحاء ورودا أو صدورا، وقد شهدت قازي بغلي حسن شاوش الدولاتلي حضرت يوم لفرجة الديوان لما قدم قلج باش من ناحية السلطان المنصور قبّل يد والدي، ويد السيد أحمد بن سيدي سعيد، ويد ابن الحنفي القاضي، وقبّل يد

قاضي المالكية سيدي محمد بن النوجيلي القاضي الأول لابنه سيدي محمد، وقليل الدين النيار ينحني على يد أهج مصطفى ويقبلها مرارا، فتبعوه الرجاء وبقيت عادة، وترك القيام اليوم إلا لمفتي الحنفية يقف، ويمدّ له يده، وإن كان جالسًا، ولحقوا المفتي ذي المالكية أو القاضيان لا وقفة وتزحزح، أهان الله من أهان العلم وأهله.

سيدي محمد بن الماستجي

بقي هذا الجاهل خمس سنين وخمسة شهور، عزله حسين خوجة شريف الدولاتلي، وولى مكانه تلميذ الوالد سيدي محمد بن الماستجي صغير السن لم يدر الثلاثين، فقيهاً نجياً فصالاً.

وتسلطت الخلق على التيار المعزول برد الرشا من يده الذي أخذه من الخصوم أيام فتواه، فالأصيل لا يعيش لذلك، وهو موصوف بالخنا والدياثة وقلة المروءة والسرايق، يطمع

سيدي حسين بن محمد
العنابي

فبعزله تولى مكانه سيدي
حسين بن محمد العنابي مدة
بكتاش خوجة الدولاتلي ثلاث
سنين غير أيام وعزل.

ولاية محمد النيار مرة ثانية
وتولى الحاج محمد النيار
ثانيا، ولآة دالي إبراهيم الدولاتلي.

حسين خوجة الطبال

ثم بعد أربعة أشهر وعشرين
يوما، عزله وولّى مكانه حسين
خوجة الطبال تمام سبعة أيام مع
دالي إبراهيم وأخذ ثمانية أيام من
أيام دولة أزن علي جاوش الباشا.

ولاية حسين العنابي مرة ثانية

وعزل وتولى سيدي حسين
العنابي ثانيا، فبعد شهرين عزل أيضا.

ولاية محمد بن الماستجي
مرة ثانية

وتولى سيدي محمد بن الماستجي
أيضا ثانيا، فبعد سنتين عزل.

في السایل ويسرق بالمغالطة من
البياعات ما موضع تراه واقف، فحدّ
نظهرك تجده يتلبس للخيانة، وكثير
يفضحوه ولا يبالي بصنيعه، ويعاد
ثم يعاد، وكان جهيمًا مهابًا طوالاً،
وكان منطقيًا قرايية كثيرا، ولم يقر
أبدا إلا فيه ولا في غيره، وإن خطبته
في مسألة علمية فيلوك ويساعدك
بكلمة «إيه» و«نعم» و«بارك الله»
وكذلك. انتهى هذا لفظه.

وأيام فتراه كثير مما يجاوب
وينسب للكتب المتأخرين، وهو
لم يرهم فينسب لـ«منح الغفار»
وهي نسخة واحدة في ذلك
الزمان محوزة في حوز والدي،
يقول: كذا في منح الغفار فوجده
ورآه سيدي محمد قنورون رحمه
الله، فأخذه وكتب تحته من
فتوى إلينا، وكانوا علماء الوقت
لا يعبونه، فمكث الفقيه سيدي
محمد بن الماستجي مفتى سنة
وأربعة أشهر غير أيام، مدة حسين
خوجة الدولاتلي.

باشا أربعة باقين من صفر سنة
1150هـ.

الحاج علي تركمان

وتولى مكانه الحاج علي
تركمان مفتي إلى أيام دولة
إبراهيم باشا، عزل بعد مدة اثني
عشر سنة⁽¹⁰⁾ غير ثلاثة أشهر يوم
الجمعة بعد صلاتها.

ولاية حسين العنابي مرة ثالثة

وثلاث سيدي حسين العنابي،
فبعد عشرين شهرا عزل أيضا.

ولاية محمد بن الماستجي
مرة ثالثة

وولى سيدي محمد بن
ماستجي ثالثا، وطال عشرة سنين،
وعزل صبيحة يوم الجمعة محمد

الهوامش

(5) هكذا ورد في الأصل. والصواب: ثماني
سنوات.

(6) كذا، والصواب: وكان.

(7) حسين بن رجب جاوش أو شاووش.
[الشيخ محمد شارف].

(8) كذا، والصواب: اثني عشرة سنة.

(9) كذا، والصواب: وكان.

(10) كذا، والصواب: اثني عشرة سنة.

(1) مقتبسة من كتاب الكشكول للشيخ محمد
بن عبد القادر شارف رحمه الله.

(2) هكذا في الأصل. والصواب: يجتمع.

هذا، والوثيقة ليست مكتوبة بأسلوب فيه شيء
من اللهجة الدارجة، وأخطاء لغوية عديدة.

(3) حسين بن رجب شاوش وينطق به ولده
محمد: جاوش وراجع ص 429.

(4) أي سيدي محمد بن سيدي رمضان بن
يوسف العليج.

راجع: تاريخ الجزائر الثقافي لسعد الله
(417/1).